بسم الله الرحمن الرحيم
جمهورية العراق
MINISTRY OF HIGHER EDUCATION
&SCIENTIFIC RESEARCH
UNIVERSITY OF AL-QADISYA
COLLEGE OF EDUCATION
AL-QADISIYA JOURNAL FOR
EDUCATIONAL SCIENCES
وزارة التعليم العالي
والبحث العلمي
جامعة القادسية
كلية التربية
مجلة القادسية في الآداب
والعلوم التربوية
التصنيف الدولي :
ISSN ٢٥١٩-٦١٦٢ ONLINE - PRINT ISSN ٢٥١٨-٩١٧٤

العدد / ٤٥٧
التاريخ / ٢٥ / ٨ / ٢٠٢١

إلى / أ.د. لمى عبد القادر خنياب المحترمة
كلية الآداب / قسم اللغة العربية
م.م. جنان جاسم خضير المحترمة
كلية الآداب / قسم اللغة العربية

م / قبول نشر

تحية طيبة .

يسر هيأة تحرير مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية أن تعلمكم بقبول نشر بحثكم الموسوم بـ (المشيرات الضميرية في المقامات العثمانية دراسة في ضوء تداوليات الخطاب) ، وسيتم نشره في الأعداد القادمة .

مع التقدير.

أ.د.سرحان جفات سلمان
رئيس التحرير
٢٥ / ٨ / ٢٠٢١

نسخة منه إلى:
- أمانة التحرير.
- الصادرة .
- وحدة الرقابة.

البريد الالكتروني:

المشيرات الضميرية في المقامات العثمانية ،دراسة في ضوء تداوليات الخطاب

أ.د: لمى عبد القادر خنياب

م.م: جنان جاسم خضير

كلية الآداب /جامعة القادسية

الملخص

تُعد الاشاريات جزءاً رئيساً في الدراسة التداولية ؛لِما لها من أهمية كبرى في عملية التواصل وفهم قصد المتكلم ومراعاة المتلقين ،وقد اكتسبت قيمتها في التحليل التداولي وأصبحت تتصدر المكانة الأولى بالرغم من ظهورها المتأخر كأحد الأركان المهمة في التداولية وهي عناصر متنوعة تشمل الضمائر ،والإشارة ،والوحدات الدالة على الزمن ،والوحدات الدالة على المكان،تشترك جميعها في أنّ معناها لا يتحدد إلا عند استعمالها ،وتروم هذه الدراسة الكشف عن العناصر الاشارية الشخصية متمثلةً بالضمائر في خطاب المقامات العثمانية ومقاربتها تداولياً ،ومحاولة فكّ شفرتها في الخطاب المقاماتي .

ABSTRACT

Signals are a major part of the deliberative study ,because of their great importance in the process of communication, understanding the intention of the speaker and taking into account the recipients.

It has gained its value in deliberative analysis and has become in the first place despite its late appearance as one of the important pillars of deliberative action, which are various elements that include pronouns, indications, units indicating time and units. The indication of place is all in common in that its meaning is only determined when it is used, and this study aims to reveal the personale indicative elements represented by the pronouns in the Ottoman Maqamat discourse and approach them deliberately and try to decipher them in the maqamati discourse.

المقدمــة

تُعد المقامة من الأجناس الأدبية الطريفة في أدبنا العربي والتي تشكل خطاباً جامعاً لمختلف فنون القول والكتابة المتداولة في الأدب العربي،فهي مساحة كتابة تتداخل فيها أجناس أدبية شتى آتية من فضاء القصيدة إيقاعاً وتصويراً ومن الأشكال النثرية الأخرى من خطابة وحكم وأمثال ووصايا وغيرها صُهرت كلَّها في بوتقة واحدة أو فن واحد هو (المقامات)؛مما جعل خطابها يُطعم بصور تكتسي من خصائص الشعرية القائمة على التخييل،وعلى إثارة اندهاش القارىء بالصور البلاغية والأساليب المتمردة على المألوف والصنعة اللغوية واللفظية البديعية ،والشحن العاطفي والتكثيف الدلالي المتمثل في صور حية مركبة بكلمات مقيدة بالسجع،وتكتسي في الآن ذاته من خصائص الخطابية القائمة على الإقناع والتي تسمح بحمل الأفكار وشرحها والمحاجة فيها على اعتبار أنّ الحجاج يُعد مكوناً أصيلاً وأولياً من مكونات البنية اللغوية ينبع وينبثق من اللغة نفسها ،فجمع بذلك خطابها بين الأسلوب والحجاج ؛فهو خطاب تحضر فيه المتعة والإثارة مدعمتين بالحجاج ؛مما يهيئها لتكون موضوعاً للبلاغة الموسعة بوصفها منطقة وسطى يجتمع فيها التخييل والتداول،فيدمج التخييل والحجاج في إنتاج الفعل البلاغي بوصفه فعلاً تأثيرياً يروم الإقناع ويستبعد التصور الجمالي الخالص، فالوجوه الأسلوبية في خطاب المقامة ليست مجرد حلية تُضاف إليه لتنميقه فحسب، لكنّها جزءٌ منصهرٌ في عملية بناء الخطاب وتشكيله ووظيفة تتجدد في سياق علاقة الخطاب بالمقام ،وقد هيأها ذلك لتكون منطقة تقاطع الشعرية بالخطابية؛مما شكّل إغراءً للبحث بجعلها متناً للدراسة مقتصراً على ما طُبع أو نُشر منها؛لإبراز فاعلية الاشاريات في التحليل التداولي كون هذه الأخيرة من العناصر اللغوية التي لها مرجعية خاصة تتضح عن طريق سياق الخطاب التداولي ،فهي تهتم مباشرةً بالعلاقة بين التركيب والسياق الذي تستعمل فيه ،وهي تندرج بحسب المفهوم اللساني ضمن الدرجة الأولى من التحليل التداولي،وتُعد من أهم عناصر التداولية التي تُسهم في تحديد المعاني التي يحملها نسق لغوي معين عَبر تجذرها في عمق ذلك النسق ،إذ لا بد لأيّ عملية تلفظ بخطاب أن تتألف من مجموعة من الأدوات الاشارية الثلاث وهي :(الأنا ، الهنا ، الآن) التي يمثل

كلٌّ منها نوعاً من الاشاريات الشخصية ،والزمانية ، والمكانية ،،ولكلٍّ منها وظيفتها الدلالية التي تتضافر مع العناصر الأخرى لفكّ تشفير الرسالة المبعوثة من الباث إلى المتلقي،ومن هنا فقد سعت هذه الدراسة إلى مقاربة الاشاريات الشخصية متمثلةً بانتخاب المشيرات الضميرية في خطاب المقامات العثمانية حيث سنحاول تحديد مرجعياتها في المقامات قيد الدراسة وتسليط الضوء على استعمالها في خطاب تلك المقامات في نظامها التداولي ، وكيف تُسهم المقاربة التداولية في فكّ شفراتها وإزالة إبهامها .

توطئة:

الاشاريات الشخصية

هي عناصر لسانية يحددها التداوليون وعلماء لغة النص بسلسلة الضمائر بأنواعها جميعها ،وأسماء الإشارة ،والأسماء الموصولة ،وهي بشكل عام تدل على شخص المتكلم أو المخاطب أو الغائب[١]،ولها أثرٌ في التفريق بين شخصيات الخطاب داخل عملية التخاطب بين المتحاورين بعد تحديد مرجعها[٢]عند الاستعمال بوجود أطراف التلفظ والتواصل، وتكون خارج هذا الإطار أشكال فارغة من أيَّ دلالة [٣]؛لأنّها تستند في دلالتها لمواضع خارج-لسانية وليس لتعابيرها الأصلية[٤]،وبما أنّها تشير إلى الشخصيات الرئيسة في الخطاب (المتحدث، والمتحدَّث اليه، والمتحدَّث عنه)،فإنّها قُسمت كما يبدو على أساس الثنائية المتقابلة (الحضور-الغياب)،أيّ حسب مشاركة الأشخاص المُشار إليهم في العملية التلفظية أو عدم مشاركتهم ،والحضور يتأسس على ثنائية تقابلية أيضاً (التكلم/الخطاب) و((قد يكون حضور تكلم كأنا ونحن ،وقد يكون حضور خطاب كـ(أنت) وفروعها أو حضور إشارة كهذا وفروعها والغيبة قد تكون شخصية كما في هو وفروعه ،وقد تكون موصولية كما في الذي وفروعه))[٥]،ويدخل

في الإشارة إلى الشخص النداء وهو ضميمة اسمية تشير إلى مخاطَب لتنبيهه أو توجيهه أو استدعائه ؛لأنّه لا يُفهم إلاّ باتضاح مرجعه الذي يشير إليه[٦]،فهو يُعَين أحد أطراف العملية التخاطبية (المخاطَب) فيسهم بذلك في بناء إطار التخاطب [٧].

-الضمائر:

الضمائر عناصر اشارية؛لأنّ مرجعها يعتمد على السياق الذي ترد فيه اعتماداً تاماً[٨]، لمعرفة المتكلم أو المخاطَب،أمّا ضمير الغائب فإن كان حراً لا يُعرف مرجعه من السياق اللغوي دخل ضمن الاشاريات ،وإن عُرف خرج منها[٩]،وقد أطلق عليه بنفسيت صفة (اللاشخص)؛لأنّ معينه يقتضي أن يكون خارج العلاقة الخطابية ،غير حاضر أو مشاهد ولا يشارك فيها لا بالتكلم ولا بالمخاطبة[١٠]،فضلاً على أنّ ضمير الغائب لا يدل على وجود الشخصية بشكل دقيق ،فهو قد يدل على شخص أو جماد أو حيوان ،ومن هنا أيضاً فهو يكون ضميراً لا شخصياً[١١]،وتظل هذه الضمائر أشكالاً مبهمة ومجردة وفارغة تجعل لنفسها مضامين عندما تقترن إحالتها بسياق ما معلوم في خطابٍ معين[١٢]،مما جعل بعضهم يسميها ب(المتحولات)[١٣]؛لأنّ الإجراء الآني للخطاب هو المحدد لمرجعها لا المضمر المعين بها[١٤]،فتتغير إحالتها بتغيير المشهد التخاطبي ،وهذا يمثل الفكرة التي انطلق منها التداوليون في بيان أنّ المقال (علامات وعلاقات نحوية) لا يكفي لمعرفة إحالة الضمير على المتصور المرجعي إن لم يُستعن بمعطيات المقام[١٥] ،وهي تمثل مرتكزاً أساسياً في العملية التخاطبية ،لِما تمنحه من الإيجاز ومنع اللبس على المخاطَب[١٦].

ومصطلح الضمير مصطلح شائع في التراث اللغوي العربي فهو عندهم اسم جامد يقوم مقام اسم ظاهر يدل على متكلم أو مخاطب أو غائب[١٧]،كما أنهّم رتبوها بحسب الاستعمال من الأكثر استعمالاً وهو ضمير المتكلم يتلوه المخاطَب في الحضور والمشاهدة، ثم الغائب[١٨].

وللضمائر بأنواعها المختلفة اثرٌ في خطاب المقامات وإنجاح عملية التواصل بين المتخاطبين، فضلاً على الترابط النصي الذي تحققه داخل النصوص ،ومن توظيف الضمائر في المقامات قول أحمد البربير في مقامته مقامة(المفاخرة بين الماء والهواء) مشخصاً الماء وهو يفاخر الهواء قائلاً : **((أنا أَولُّ مَخْلُوقٍ ولا فَخْر، وأنا لَذّةُ الدُّنيَا والآخِرَة ويوم الحَشْرِ، وأنا الجَوْهَرُ الشَّفاف، المُشَبَّه بالسَيْفِ إذا سُلَّ مِنْ الغِلَاف))**[١٩].

هيمّنت الذات المتكلمة على الخطاب السابق فصارت موضوع الخطاب وقطبه الأوحد،حيث باشر المتكلم باستعمال الضمير(أنا) مكرراً مرافقاً لملفوظات إخبارية تُعرف بالمتكلم وتجسد جانب الفخر والاعتزاز بالذات ولا تُصرح به بل تُلمح إليه بتقديم صفاته، وفي تكرار الضمير إشارة واضحة لتأكيد نسبة هذه الصفات له وتميزه وتفرده بها دون غيره وتخصيصها به وحده وإشعار المتلقي أنّ ما ذُكر مقصوراً عليه دون غيره من هذه النعوت العديدة والمختلفة[٢٠]، ولاسيما أنّه في سياق حجاج لإثبات تميّزه عن الخصم،فما هذا التكرار إلاّ لغاية حجاجية،يريد من خلالها المتكلم إثبات مكانته،وتمايزه عن غيره، إذ إنّ ذلك الترديد الذي يحدثه المرسل في خطابه ينتج عنه زيادة حضور الفكرة في ذهن المخاطب[٢١]؛مما يجعل المقابل مسلماً لقوله وحججه التي جاءت بشكل تراكمي قائم على تكرار الضمير .

وقد يرد الضمير ليُعرف بصاحب القول ومنه ما جاء في قول المتكلم شعراً في إحدى مقامات الشيخ ناصيف اليازجي[٢٢]:

أنا الخِزْامِيُّ سَلِيلُ العَرَبِ أذْهَبُ بَيْنَ النَاسِ كُلَّ مَذْهَبِ

يشير المتكلم هنا إلى ذاته بفخرٍ واعتزاز مصرحاً بلقبه؛لتأكيد هويته للمخاطَب،مستعملاً الضمير(أنا) الذي يُعد هنا مصدر الخطاب،وبهذا يدرك المتلقي سلطة المتكلم وتمكنه من

مضمون خطابه،فـ (الأنا) تريد إبلاغ المتلقي فعلاً إخبارياً يُعرف من خلاله بنفسه ليُحقِّق غايّة هي الافتخار بالنفس والقبيلة،وكأنَّه يريد أَنْ يبيّن معنى التعظيم والمفاخرة والاعتداد بالنفس،ومما يُشترط لصدق الاشاريات أنْ تكون العلاقة بينها وبين مراجعها علاقة حقيقية [٢٣] ،وهو ما تحقق في الملفوظ السابق؛لأنّ المتكلم أشار بهذا الضمير إلى نفسه وقد تطابق مع الواقع فهو فعلاً ذلك الشخص المشار إليه ،وبذلك أنجز فعلاً إخبارياً صادقاً من خلال الضمير مرفوقاً بالاسم الذي أزال اللبس عن الملفوظ وهذا يجعل متلقي الخطاب لا يبذل جهداً في تحديد مرجع الضمير بصورة لا يبرحها الصدق ولا تفارقها الحقيقة.

ومن الضمائر قول المتكلم في معرض وعظه قوماً كان بينهم فتنةٌ وشَحناء،في هذه المقامة لليازجي التي يقول فيها على لسان المتكلم:**((إمّا يَنْزغَنَّكم مِنْ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فاسْتَعِيذُوا بالله إنّه هو السَمِيع العَلِيم، ومن عَمِلَ مِنْكُمْ سُوْءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تاب مِنْ بَعْدِهِ وأصْلَحَ فإنّ الله غَفُورٌ رَحِيم،فعَليّكُمْ بالمُصَالَحَةِ قَبْلَ المُجَالَحَة،وَ تَحَمُّلِ الجَهْل بتَجَمُّل الخُلُق السَّهْل))**[٢٤].

يلحظ هنا هيمنة ضمائر الخطاب على النص باستعمال ضمائر المخاطب المتصلة،ولمّا كان المتكلم في سياق وعظٍ للمخاطبين،فإنّ الخطاب جاء بالتركيز على المرسَل إليه والتوجه إليه والاهتمام به ،ليضفي الصدق على خطابه[٢٥]،وبذلك يؤثر فيه ويقنعه ، أمّا المتكلم (الواعظ) فهنا غير ظاهر في بنية الخطاب السطحية ،مستتر في بنيته العميقة التي تتضمن بُعداً إشارياً يعود إلى منتج الخطاب وتقديره: (أنا أقول: أمّا ينَزْغنَّكم....)، فـ(الأنا) لم يضمّنها المتكلم هنا في خطابه شكلاً بل غيّبها في بنية الخطاب الظاهرة معولاً على وجودها بالقوة في كفاءة المرسِل إليه ،وهذا ما يساعد على استحضارها لتأويل الخطاب تأويلاً مناسباً[٢٦]،إذ لمّا كان الخطاب هاهنا ذو سمة موضوعية ،والكلام ذاهب فيه مذهب الحكمة التي لا تتحدد بمتكلمٍ أو مخاطَب معين،بل تصلح في سياقات مختلفة ومع شخوص مختلفين؛لذا فقد غُيبت الذات المتكلمة في بنيته السطحية،وعليه فكلمّا غابت ضمائر الحضور أمكننا الحديث عن خطابٍ

.

.

موضوعي في عملية التلفظ ،ومن هنا يصبح ضمير التكلم (أنا) هو ضمير الحضور والتلفظ والذاتية التي تحضر عبّر صيغة التكلم[٢٧]،ومن هنا أيضاً فكلّ خبرٍ يخلو من ضمير المتكلم في بنية الخطاب فإنّه يوجد في بنيته العميقة ،وهذا يدل على أنّ أثر الاشاريات في السياق التداولي غير مقتصر على العناصر الظاهرة على سطح الخطاب بل أنّ هناك عناصر خفية يكون لها الحضور الأقوى،وهو ما يعطيها وظيفتها التداولية في عملية الخطاب[٢٨].

ومن ضمائر الحضور أيضاً ضمير المتكلمين(نحن) الذي يشير للجماعة،وقد قسمت إوريكيوني هذا العنصر على قسمين: الأول ما يسمى بـ(نحن الشاملة أو التعاونية)وفيها يشير إلى المتكلم ويدخل في حيز اشاريته المرسِل إليه ،وهي تشمل في بنيتها العميقة (أنا + أنت=نحن) أو(أنا + أنتم=نحن)[٢٩]،والثاني يسمى بـ (نحن) القاصرة التي يُستبعد فيها المتلقي، فتكون دالة على المتكلم وآخرين فتكون عبارة عن (أنا + هم) لا (أنا + أنت أو أنتم)[٣٠]،وهو ما اسماه جورج يول بـ(نحن المستثنية) [٣١]،واجتمع هذان النوعان في هذا النص الحواري المقامي في واحدة من مقامات اليازجي :**((قالوا نُعِيذُك بالله مِنْ نَفْسٍ حَرَّى، وعَيْنٍ شُرَّى، فهل لك أنْ تكونَ لنا خَطِيباً؟ وكفى بالله حَسِيْبَاً، قال: نَحنُ في المَشْرَبِ شَرَع، والطيور على أشْكالها تَقَعُ، فإنْ رَأَيْتُ مَا يَسُدُّ الخَلَّة ويرُدُّ الغُلَّة، فأنا مِنْكُمْ نَسبَاً وحِلَّة))**[٣٢].

هذا النص -الذي هو حوارٌ بين القوم وذلك الرجل الذي لمسوا منه سعة العلم وطول الباع في البيان والشعر،والخطابة ،فبثوا إليه سؤلهم في أن يكون لهم خطيباً- هيمنت فيه ضمائر الحضور التي تراوحت بين التكلم والخطاب،فباشر المتكلمون خطابهم بالمعوض الكنائي (نحن)بصفته القاصرة التي استبعد فيها المتلقي ؛لأنّها تدل هنا وفي بنيتها العميقة على (أنا +هم)،وقد أبرز هذا الضمير تضامن المتكلمين فيما بينهم وأنّ ما يتحدثون فيه هو جمعٌ لأفكارهم،ونجد أنّهم يستعملون في حوارهم ضمير الخطاب (الكاف) في قولهم:(نعيذك،لك)الذي هو عنصر اشاري يشار به إلى المخاطَب الذي يقابل المتكلم ؛لتحقيق التبليغ والتواصل بين المتكلم باعتباره مرسِلاً ،والمخاطَب بوصفه مرسَلاً إليه ،أمّا المخاطَب الذي صار متكلماً

. .

.
.

فقد استعمل المشير الحضوري (نحن) بصفته الشاملة التي تعادل (أنا وأنتم) في بنية الخطاب العميقة قائلاً : (نحن في المشرب شَرَع) في إشارة واضحة إلى جمع الذات المتكلمة مع المخاطَب في سياقٍ واحد،وهذا يشحن الخطاب بشحنة عاطفية يعبر من خلالها المتكلم عن درجات الحميمية لمخاطبه؛ لأجل كسب ودّه[٣٣]، فيكون سريع الإجابة لرغبته وما يبتغيه،وهذا ما حصل في الحدث التخاطبي السابق، إذ استجاب القوم لتنفيذ ما أراده المتكلم وهو جزل العطاء له((فَرَضَخُوا له باحتلاب شَطْر، وقالوا: أوّلُ الغَيْثِ قَطْر))[٣٤].

ويحضر العنصر الاشاري(نحن) بصفته الشاملة من خلال قرائن إشارية عبر أفعال المضارعة المقترنة بضمير التكلم التي تُعد وسائط لغوية تؤشر على حضور المتكلم داخل السياق التواصلي للعملية التلفظية[٣٥]،وهذا ما جاء في هذه المقامة على لسان المتكلم في مقامة (حسن الوفاء) لفكري باشا في قوله: **((يا أُماه قَدْ بَلَغَتْ الفَاقَة غايَتها ،وتَجاوزِتْ الشِّدة نِهايَتها،ولَمْ يَبْقَ عندَنا ما يُمْسِك الرَمَق ،ويُطْفي هَذهِ الحِرَق، فَهَلْ تَرَينَ أنْ نَبِيْعَ هَذهِ الدَّارُ كَباقي البِيُوتِ ،ونَصْرفُ مِنْها ثَمَنِها على القُوْت ،ونَتْجِرُ في بَعْضهِ على بَرَكةِ الحّيِّ الذي لا يَمُوت))** [٣٦] .

فالمتكلم في قوله : (عندنا، نبيع، نصرف،نتجر) يشير إلى نفسه فضلاً على المخاطَب كفردٍ واحد، لهما غاية مشتركة وتربطهما قضية واحدة،ويجمعهما مصير مشترك واحد؛لأنّه أراد أن يحول طلبه في بيع الدار والانتفاع منها من فعل فردي إلى فعل جماعي ذات مصلحة جمعية يحقق منفعة عامة تشمل الطرفين ،مما يُشعر الطرف المقابل أنّه لم يقصر المنفعة على نفسه أو دفع الضرر عنها فقط [٣٧]،بل راعى اعتباره أيضاً،علَّ ذلك يثمر في إقناعه في الموافقة والاتفاق معه في الرأي.

ومن استعمال العنصر الإشاري (نحن) بصفته القاصرة قوله في المقامة السخرية لليازجي:**((خرجتُ للصيد في بادية الخَلْصاء، مع بعض الخُلصَاء الأخِصَّاء، وكنَّا في عِدَّتنا كنُجُومِ الثُرَيَّا، وفي انتظامنا كحَبَبِ الحُمَيَّا، فاقْتَنَصْنَا ما شاءَ اللهُ من سَانحٍ وبَارحٍ، وقَعِيدٍ**

ونَاطِح... .....حتى غَشِيتْنا ظُلُماتٌ بعضُها فوقَ بَعْض، فجَعَلنَا نخبِطُ خَبْطَ عَشّواءَ تحت غِشاء ذلك العِشاء، وبينما نحن كالآرام في القِماص، إذ سَمِعْنا منادياً يقول: القِرى يا خِمَاص))[٣٨].

يبين المتكلم من خلال هذا القول تلك المحبة والأُلفة التي كانت بينه وبين جماعةٍ من رفاق الصيد،معبراً عن ذلك باستعمال ضمير المتكلمين (نحن)وبديلها الضمير المتصل (نا) وهما مما يقع صوب (نحن القاصرة)،إذ قصد المتكلم باستعماله هذا الضمير الجمع بينه وبين آخرين (أنا +هم) متمثلاً بسهيل ورفقته، وهو عنصر اشاري عبّر به المتكلم عن الانتماء للجماعة فذوّب نفسه مع رفقته ومع عواطفهم وأفكارهم مما يُعد مؤشراً على الموافقة والاتفاق في الرأي بينهم[٣٩]،لذا يمكن القول:إنّ الاشاريات تُسهم في تأسيس العلاقة الاجتماعية وتطويرها.

وقد يجد المرسِل أحياناً أنّ دلالة الضمير قاصرة لا تفي بالتعبير عن قصده حسب ما يريد فيلجأ إلى التلاعب بهذه الدلالة وإخراج هذه الدوال عن مدلولاتها الأصلية، فيحولها من وظيفتها الدلالية التي تدل على المرجع إلى وظيفتها التداولية بانعكاسها مؤشراً على وفق قصده ومراعاة لمواءمتها للمقام الذي ينتجها فيه وباختلاف المواقف الاجتماعية، ونجد مصداق ذلك في قول المتكلمة شعراً في هذه المقامة[٤٠]:

نَلُومُ الزَمَانَ إذا ما أَخَلَّ بِتَسويةِ الرِّزقِ في أَهْلِهِ

وها نحنُ نَفْعَلُ فِعْلَ الزمانِ فكيفَ نَلُومُ على فِعْلِه؟

فالمتكلمة في الأبيات السابقة تخاطب جمعاً من القوم محتجةً على فعلهم ،فيأتي قولها تعريضاً بهم لعدم عدالتهم في المساواة بينها وبين الشيخ والغلام في العطاء،والملاحظ أنّها جاءت بضمير المتكلم (الجمع) للإحالة على المخاطَبين،فبدل أن تخاطبهم باستعمال الضمير الموضوع لجمع المخاطبين ،فتقول: (ها انتم، تفعلون، تلومون)خاطبتهم باستعمال الضمير بقيمته المنزاحة: (نحن) وبدائله بصفته الشاملة التي تجمع في بنيتها العميقة بينها وبينهم في قولها: (نحن،نفعل ،نلوم)،مع أن هذا الفعل إنّما صدر منهم دونها،إذ كان الأولى أن تخاطبهم

بالضمير: (أنتم) لكنّها لوحت عن قصدها باستعمال العنصر الاشاري (نحن) بدلاً عن ذلك ؛لتفصح عن ذلك التماهي والاندماج بين أطراف العملية التواصلية جميعها، وهذا مرده لعوامل تداولية لعلّ أهمها أسلوب الذم الذي اتخذته في خطابها وهو الذي جعلها توظف الضمير الجمعي،لتجعل اتهامها لهم أقل مباشرة وجعل قضيتها الشخصية تبدو غير شخصية ،وكأنّها قضية عامة[٤١]،فتشعر المخاطبين أنهم غير مقصودين وحدهم بل أنّ خطابها عاماً يشملهم ويشملها، فتأمن بذلك ردة الفعل التي قد تعود عليها بالسّلب.

ولمّا كانت الاشاريات الشخصية ذات مرونة في توظيفها داخل الخطاب،فقد تأتي بقيمة منزاحة بالنظر إلى قيمتها المألوفة ،فتستعمل دوال الجمع لمخاطبة المفرد أو المفرد لمخاطبة الجمع ،أو استعمال (نحن)للشخص المتكلم كنايةً عن التواضع أو التعظيم أو الفخر أو التحقير،وهو ما أطلق عليه التداوليون (البون العاطفي أو الإشارة الوجدانية) [٤٢]،وعندها تتخذ الاشاريات وظيفة بلاغية تتجاوز فيها التعيين والتقرير إلى الإيحاء والتضمين عبر هذا الانزياح والخرق وانتهاك المعايير التقعيدية خلال تصادم الوحدات اللغوية وتوترها[٤٣]،ومما وجده البحث تمثلاً لذلك قوله في هذه مقامة شهاب الدين السويدي التي يصور فيها مؤلفها لقاءه بمحبوبته ،وقضاءه ليلته معها وما دار بينهما من الهوى العفيف،وقد زال بذلك اللقاء كربه ولبست نفسه حلةً من السرور، لكن ما أسفر الصبح حتى لم يجد من ليلته البارحة شيئاً ،فقد رحلت تلك المحبوبة تاركةً رسالةً قالت فيها شعراً[٤٤]:

نحنُ بناتُ الكَلل نَسْطو بسهمِ المُقَل

فَكَمْ شُجاعٍ بَطَل بَاتَ بِقَلبٍ وَجِل

تَجري الدِما عُيونه وتنتمي شِجونُه

لَمْ يَجِدهُ جِنُونُه مِنا سِوى التَذَلل

أحالت المتكلمة بالجمع على ذاتها باستعمالها الضمير(نحن) فتحقق رسوه على نقطة مرجعية منزاحة،فما (نحن)هنا إلا (أنا) الممدودة الممططة [٤٥]،التي تضخمت وصارت بـ(نحن) شخصاً

أكثر أبهة،وأكثر كثافةً،وأوسع معنى،وإن كانت أقل تعييناً،وأقل دقة في الإشارة [٤٦]،وقد تضافر هذا التضخيم مع هيمنة صيغة المتكلم على الخطاب؛ لإبراز الاحتفاء بالذات المتكلمة،والاعتداد بها ،وتعزيز حضورها الذاتي كسلطة تواصلية عليا مقارنةً مع سلطة المخاطَب الذي لا يملك سوى الإنصات والانتباه والتلقي والخضوع[٤٧]

ومن الضمائر أيضا ضمير المخاطَب الذي هو قسيم المتكلم في الحضور،فهو يقابله في المقام ويشاركه فيه[٤٨]،ويأتي بعده من حيث القوة في الحضور والمشاهدة[٤٩]،ومن تمثلاته الضمير(أنتم) الذي يشار به إلى مجموعة من المتلقين يكون لهم حضور فعلي في العلمية الخطابية قوله شعراً في المقامة اللاذقية لليازجي[٥٠]:

أَنتم لِكلِّ فَقِيرٍ كَافٌ ونونٌ و زاءٌ

وفي أَكُفِّ نَداكمْ باءٌ وسينٌ وطاءٌ

هَلْ عِنْدَكُمْ نَحْوَ شَيْخٍ لامٌ وحاءٌ وظاءٌ

فالمتكلم يخاطب بالضمير(أنتم) من حوله محاولاً استعطافهم لنيل مبتغاه في استحصال عطاياهم، وجاء هذا العنصر الإشاري حاملاً معنى الإشادة بالمخاطَب ،وقد اكتسب هذا المعنى من السياق ،إذ إنّه ورد في سياق مدح ينطق بوصف المخاطبين بأحسن الصفات فضلاً على أنّه جاء مرفوقاً بعبارات تفيد المدح والثناء عليهم ، وما يحيل تلك الصفات على مرجعها هو الضمير المنفصل (أنتم) فضلاً على ضمير الخطاب المتصل (الكاف) الذي ورد متصلاً بالألفاظ: (نداكم، عندكم)،ليحقق الخطاب بالضمير الاستراتيجية التضامنية بين الطرفين التي وظفها المتكلم هنا لبلوغ غايته وتحقيق مراده الذي تجلى في أُعجاب القوم (المخاطبون) بما قاله مغدقين عليه مالاً وفيرا[٥١].

ومن نماذج توظيف الضمير الدال على المخاطب عبر الضمائر المتصلة التي تمثل قرائن اشارية دالة على المخاطَب وحضوره في عملية التلفظ[٥٢]، ما جاء في مقامة عبد الله فكري

.

باشا ،في قول الأبّ لإبنه بعد دنو أجله : **((يا بُني إنّي أَرى الَّشمْسَ أذَنَتْ بالأُفول، وقَدْ عَزَمَ الغريب على القُفُول، واليوم قد أزِفَ الرَحِيل، والبَقَاء في هذه الدَّار مُسْتَحِيل،...فافْتَحْ لِمّا أَقُولُ أَقْفَالَ لُبّكَ، وإحْفَظْهُ كَسَوَادِ عَيْنَيكْ وسُوَيْداءِ قلبك....))**[٥٣].

هيّمنت على هذا النص ضمائر الخطاب وبأصنافٍ عدة،كالكاف في قوله: (لبّك، عينيك، قلبك)،والضمير المستتر في الأفعال: (افتح، ترى، تَعدّ)،ويبدو خطاب المتكلم رقيقاً ،رحيماً يطمح ومن خلال استعماله ضمير المخاطَب المتصل أن يقرب المخاطَب ؛ليثق بقوله ،وهو يستعمل عبارة (يا بُنيّ) التي فيها من العطف والتحنن الشيء الكثير،مما يشحن الخطاب بالتضامن ، وهذا له مردود إيجابي على سير العلاقة بين الطرفين بالنتائج المترتبة على الخطاب نفسه[٥٤]،ولاسيما أنّه خطابٌ صادر من الأبِّ لابنه في سياق نصحٍ ووعظٍ له ،وبذلك تجاوزت إحالة الضمير على المفرد المخاطَب ليصبح مؤشراً على بعدٍ تداوليٍ هو تحقيق الدلالة التضامنية في الخطاب ؛لأنّه الأنسب في موطن النصح ليبلغ المتكلم المراد ويحقق الغاية في إنجاز الفعل المقصود.

ويحضر ضمير المخاطب بصيغته المتصلة ،وذلك في هذه المقامة لعبد الله فكري باشا المسماة (المقامة الفكرية في المملكة الباطنية)التي يصور فيها المؤلف سياحته الفلسفية في مملكة الباطن مجسداً هنا صفة (المداهنة) وهي متمثلة في حضرة العقل الذي جسده كملكٍ عظيم لهذه المملكة ،فتدخل عليه كالشيطان وهي تقول: **((أيّها المَلِكُ القادر ،والسلطانِ القَاهِر،بَاعَدَتْكَ الاكدَار،وَسَاعَدَتْكَ الأقدَار،ولا زَالَ يُسْعِدُكَ البَخْت،ويُسْعَد بِكَ التَاجُ والتَخْت،أرَاكَ بِحَمْدِ الله قَدْ صَفَا لَكَ المُلك،وَحاقَ بِجَميعِ أعدائكَ الهَلَك،فَلَيْسَ لِمُلكِكَ زَوال ،ولا لَك في الخَليقةِ امثَال ،وَقَدْ نِلْتَ مِن كلّ أمَلٍ أسنَاه،وعَمَلْتَ مِن كُلّ عَمَلٍ أسمَاه،وَلَمْ يبقَ إلاّ ذخائرِ اللذاتِ تَقْتَنِيها،وأخائرِ الشَهواتِ تَجتنيها))** [٥٥].

فقد دلت ضمائر الحضور المتصلة في النص المقامي السابق على حضور المخاطَب ،وهيمنة الذات المخاطبة على الخطاب ،ولعلّ مرد ذلك لامتلاك المخاطَب سلطة تواصلية عليا مقارنةً

بسلطة المتكلم الذي يبدو هنا أنّه خاضعٌ للمخاطَب وتحت سلطته[٥٦]،كما يؤشر ذلك على محاولة المتكلم إبراز المخاطَب وتضخيمه داخل العملية التلفظية ؛بغية شدّه إليه ،ومن ثَمّ جذبه إلى طريق الضلال والأهواء والشهوات المهلكة .

وقد تتنوع الضمائر في الخطاب الواحد بين ضمائر التكلم والخطاب والغيبة ومن ذلك قوله في المقامة الرملية لليازجي شعراً[٥٧]:

رَأيْتُ النَاسَ قَدْ قَامُوا على زُوْرٍ وبُهْتَانِ

فَلا يَرْعَونَ مِيْثَــاقاً وَلا حُرْمَةَ إحْسـانِ

فإنْ رَاعيتَ إنْسَاناً فما أنتَ بإنسانِ

يحاول المتكلم في خطابه هذا بَثُّ أفكاره والتأثير في سامعيه بذكر أعمال الناس الشنيعة والتحذير منها،ووَشّح هذا الخطاب بجملةٍ من الأنماط الإشارية الشخصية ما بين ضمير المتكلم وهو ضمير الحضور في قوله:(رأيتُ) الذي يدل على شخصية المتكلم المتحدث عن نفسه المنفرد بذاته عن بقية الناس الذين تحدث عنهم، ثم يأتي ضمير الرفع (الواو) المتصل بالفعل الماضي (قاموا) والفعل المضارع (يرعون) للدلالة على جمع الغائبين[٥٨]، وهم هنا (الناس) المشار إليهم في البيت الأول، ثم يعود في البيت الثالث ليذكر الضمير المتصل (التاء) الدال على المخاطَب المفرد بقولهِ :(راعيتَ)، والضمير المنفصل (أنت)،ولمّا كان الخطاب ذاهباً مذهب الحكمة ؛لذا فانتخاب المتكلم لضمير الخطاب الدال على المفرد كان الأنسب لذلك ؛لأنّ المفرد المخاطَب يصدق على كلّ أحد ،فيشعر كلّ سامعٍ أنّه مقصود بهذا الخطاب ،وإنّ هذا الخطاب لا يتجه إلى شخص بعينه بل هو خطابٌ مطلق موجه إلى كلّ من ينطبق عليه ،فيكون بذلك المرسل إليه عاماً لا خاصاً[٥٩].

ونجد أيضاً ضمائر للتكلم وضمائر الغيبة في قول المتكلم شعراً شاكياً الدهر وصروفه في هذه المقامة[٦٠]:

أَشكو إِلى الله صُرُوف الدهرِ فقد رماني بالرزايا الغُبرِ

أَصابني بهَرَمٍ وفقرِ وأَخَذَ الكرامَ أَهلَ اليُسرِ

فلم أُصادِف جابراً لكسري جزاهُ مولايَ جزاءَ الغدرِ

تضمّن النص أنماطاً اشارية تراوحت بين دوال المتكلم والغيبة،هيمّنت فيها ضمائر الحضور المتمثلة بضمير التكلم على الخطاب ؛ليصبح مؤشراً جلياً على الذاتية التلفظية ،وتواجد المتكلم بواسطة ضميره الشخصي(٦١)،فالمتكلّم يشكو همَّهُ وحزنَهُ إِلى الله وما تشعر به ذاته الموجَعة التي أتعبها الدهر بصروفه،وتقلب احواله ، فهي المعنيّة بالحديث دون غيرها،ومن ثَمَّ فحضور الذات يعني حضور المتكلم بتجاربه الحياتية الكلية ؛لأنّ ضمير المتكلم يحمل فضلاً على الدلالات اللسانية التداولية ، دلالات فلسفية وجودية ،ويحمل دلالات فينومينولوجية(ادراك الذات للموضوع)،ودلالات سيكولوجية (علاقة الذات بالوعي) (٦٢)،أمّا ضمائر الغيبة فكانت من نصيب الدهر في قوله :(رماني ،أَصابني ، أَخذ) ، والدهر لا نستطيع أَنْ نتلمَّسه حِسَّياً ، لكنَّنا نشعر به روحيّاً ، فهو كالغائب المستور الذي لم يظهر للعيان،فانتظمت هذه الضمائر لتؤدي وظيفة إبلاغية يُراد إيصالها للمخاطَبين ؛لأجل إحراز التأثير فيهم بجعلهم يرثون لبليته ويرقون لشكيته ،وهو ما تحقق في سياق الحدث التخاطبي السابق فعلاً.

ومن توظيف الضمائر أيضاً قوله شعراً في هذه المقامة(٦٣):

عاتَبُونِي على القَطِيعَةِ لَمّا طَالَ عَهْدُ النَّوى وطَالَ النِّفارُ

قُلْ لَهُمْ: إنَّ مَنْ يَزُرْنِي أَزُرْهُ كلَّ يَومٍ ، ومَنْ يَزُورُ يُزَارُ

ضمّ النص بين دفتيه أنماطاً اشارية شخصية توزعت بين الحضور والغيبة ،شكّلت فيه ضمائر الحضور نسبة ضئيلة مقارنةً بضمائر الغيبة ،فتراوحت بين ضمير المتكلم الذي جاء متصلاً مرةً ومستتراً مرة أخرى في :(عاتبوني ،يزرني،أزره)،وهي ضمائر تشير كلّها إلى الشخص الذي يستثمر إمكانية الكلام لينتج نصاً يعين فيه ذاته متكلماً يعبر عن مكنونات نفسه ويعلل لِمن عاتبه على القطيعة والبعد،على حين جاء ضمير الخطاب مرةً واحدة في فعل الأمر (قلْ) للإشارة إلى المخاطَب بالضمير المستتر،الذي يُعد ضرباً من الاشاريات يتوصل لإدراك مرجعه عن طريق السياق ،والذي يتطلب أحياناً حضور المخاطَب حضوراً عينياً في الأمر والنهي [٦٤]،فأنت لا تأمر غائباً أو تنهاه ؛لذلك يقتضي الأمر أن يكون المعني ماثلاً أمامك مشاهداً ،لكن قد يعمد المرسِل إلى إعطاء خطابه بعداً تداولياً أوسع ،فيفترض حضور المخاطَب وإن لم يكن حاضراً في عملية التلفظ ؛ليجعل كلّ سامعٍ لخطابه كأنّه معنيٌ به،ويبدو لي أنّ دلالة الضمير هنا في (قلْ) تعود على المتكلم نفسه ،إذ إنّه يصف حاله مع من عاتبه على الهجر والقطيعة ،فيجعل نفسه المتكلم والمخاطَب في الوقت نفسه ،باستحضاره شخصاً مخاطَباً يوجه إليه خطابه ،لكن في الحقيقة إنّ (أنت) هنا قد تحقق رسوها على نقطة مرجعية منزاحة هي (أنا) المتكلم ،أمّا ضمائر الغيبة فقد هيّمنت على النص وكانت إحالتها مقامية ؛لأنّ مرجعها أو المعني بها غير حاضرٍ في العملية التخاطبية ،بل يشير إلى خارج النص،ولعلّ في هذه الهيمنة ما يكشف عن الطبيعة الإخبارية للخطاب،الذي تعمد فيه المتكلم إبهام الضمير وتغييب مرجعه ؛لجعل المتلقي يترقب ويتيقظ ويعمل فكره لمعرفة المحال عليهم ،وبذلك تتمتن أواصر التفاعل والتواصل بينه وبين المتكلم ، فكانت وظيفة الضمير الغائب هنا إيحائية لا تعينية.

-التحول الضميري في المسار التخاطبي:

تحدث التداوليون عن إمكانية تحول الضمائر في العمليات التخاطبية ،فتتبادل الوظيفة بين التكلم والخطاب والغيبة[٦٥]،وهذا التحول ما هو إلاّ إمكانية تخاطبية مكنتنا منها حركية الجهاز النحوي التي تتراوح بين مفهوم الحضور في بعده الحسي ،ومفهومه في بعده التخاطبي[٦٦]((فيمكننا من أن نعتبر الغائب غائباً عن التخاطب وغائباً عن المقام التخاطبي ،أو

أن نعتبره غائباً عن التخاطب وحاضراً في المقام التخاطبي ،فيمكننا ذلك من إنجازات مختلفة مثل : مخاطبة الحاضر بعبارة الغائب :هذا هو الصديق ،تعويلاً على حضوره في المقام وتوجيه الخطاب إليه)) [٦٧]،وهذه الظاهرة التخاطبية تجعل المخاطَب بصورتين في الخطاب تبعاً للتحول في المسار التخاطبي ،وفي ضوء ذلك قد يعمد المتكلم إلى الانتقال بالخطاب من الغيبة إلى المواجهة أو من المواجهة إلى الغيبة ،فيحول الغائب مخاطباً أو المخاطب غائباً، لغايات ومقاصد تحددها ظروف العملية التخاطبية[٦٨]،ونجد لهذا المعنى حضوراً عند أهل البلاغة بما وسموه بـ(الالتفات بالضمير)،أيّ الانتقال من الحضور إلى الغياب أو العكس ،أو من التكلم إلى الخطاب أو العكس وهكذا[٦٩]،بما يقتضيه الراهن التواصلي لإيصال قصدية الخطاب ،ومما قاربه البحث مصداقاً لذلك في مقامة عبد الله فكري باشا (مقامة حسن الوفاء) ،وذلك في خطاب الأمّ مع ابنها تحثه على الصبر والتجلد مواساةً له، قائلةً:**((يابُنَيَّ على المَرْءِ أنْ يَسْعى لِما فِيهِ نَفْعُهُ ،ولَيْسَ عَلَيهِ أنْ يُسَاعِدْهُ الدهر ،فلا تَجْزَعْ من تَقَلُّب الدهُور،وعَجائِبِ المَقْدُور،واصْبِرْ على ما أَصَابَكَ فأَنْتَ بالصَبْرِ مأمُور،ولِمَنْ صَبَرَ وغَفَرَ إنّ ذَلِكَ لَمِن عَزْم الأُمُور))** [٧٠]

تحدثت الأُمّ في مستهل كلامها بأن أبدت بعض الأمور التي على المرء أن يلتزمها وقت الشدة بألفاظٍ دالة على الغيبة أفادت التعميم؛لأنّها أرادت جعل الخطاب عاماً أولاً، لا يخص المخاطَب فقط بل يشمل الجميع ؛ لغرض إدراج حديثها كقاعدة عامة تخترق حدود الزمان والمكان ،وتكسر نمطية ثنائية الحوار،ثم تحولت من التغييب إلى ضمائر المشاهدة والمواجهة حينما أرادت توجيهه بنهيه عن الجزع من الحزن ودعوته للتصبر مستعملة دال الحضور،والمقصود بالكلام واحد،فالغائب في مستهل كلامها هو نفسه الذي صار مخاطَباً تالياً،لكنّها استعملت له سمة الغياب أولاًلأمرٍ قصدت به دعوته إلى النظر والتدبر في أحوال غيره فيأخذ الحكمة والعبرة من تجاربهم بعامةٍ ،ثم حمّلت خطابها تجدداً بتحولها من الغياب إلى المواجهة إظهاراً لتخصيصه بالخطاب باستعمال دال الحضور،وهذا الأمر يساعد على سرعة الامتثال للمطلوب ؛لأنّه في موقف مواجهة مع الذات الموجهة ،فعندما أرادت حثه على الصبر وقبول القضاء

.
.
.

والقدر جيء بلفظ الحضور الدال على حضور المؤازر ،فإنّ المخاطَب سيصبر مادام مؤازره حاضرا[٧١]،مشاهداً يتوجه بالكلام إليه ، فيعطيه ذلك دافعاً للامتثال إلى التوجيه الصادر.

ومما جاء على هذا النحو أيضاً من التحول بين الضمائر محققاً بعداً تداولياً قوله شعراً في إحدى مقامات اليازجي[٧٢]:

يا مَنْ لَهُمْ في السَجَايا عينٌ وجيمٌ وباء

ما طَابَ ليّ في سِوَاكم نونٌ وعينٌ وتاء

عُهُوْدُكُمْ لَيْسَ فِيْهَا نونٌ وكافٌ وثاء

فالمتكلم يخاطب مجموعة من القوم الذين كان لهم حضور فعلي في العملية الخطابية ،وكان الأولى مخاطبتهم بضمير الخطاب (الكاف) فيقول :(لكم) لكنّه جاء بخطابه أولاً على طريقة الـ (هم) ،أيّ المتحدث عن صفاتهم أو المراد الإخبار عنها والتركيز على وصف فعلهم وكأنّه أصبح مما يُقص عنهم للعبرة؛ إظهاراً لرفعة شأنهم والارتقاء بهم إلى أعلى مرتبة من السمو ؛لذلك أتخذ الخطاب مسار الغيبة الذي يتناسب والقصِّ[٧٣]، فضلاً على ما في هذا الضمير من تحصيلٍ للقول البليغ المؤثر من جهة إضماره أولاً ،ومن جهة تفسيره ثانياً ؛لأنّ الشيء إذا كان مبهماً تكون النفوس متطلعة إليه ومتشوقة إلى فهمه [٧٤]،ولاسيما أنّه في مقام مدح وغايته التأثير فيهم ،فيعمد لاختيار الأنسب في مخاطبتهم لتحقيق هذه الغاية ، ثم خاطبهم في الأبيات اللاحقة مستعملاً العنصر الإشاري الدال على المخاطب في قوله: (سواكم وعهودكم) الذي يحيل على المرجع نفسه المقصود مباشرة؛ إبرازاً للهيأة التخاطبية التي تجعل المخاطَب مقابلاً للمتكلم وملتفتاً إليه[٧٥] فعندما أراد تحقيق مواجهة معهم، بتخصيص المدح بهم دون سواهم،انتقل بالخطاب من التغييب إلى المشاهدة والحضور؛لما لهذا التحول بين صيغ الخطاب من أثر في تطرية نشاطهم وإيقاظ إصغائهم إليه بتنقله من أسلوب لآخر[٧٦]،،وغايته من كلّ ذلك إحراز التأثير في المتلقين الذي هو سؤله من هذا الخطاب .

.

.

. .

ومن صور التحول أيضاً ما جاء في قول المتكلم لغلامه بعد أن اضطر لفراقه مخاطباً إياه بأبياتٍ من الشعر في هذه المقامة(٧٧):

لا تَنْسَني ،يَا مَنْ لهُ النَفْسُ فِدىَ فَلَسْتُ أَنسَاكَ ولو طَالَ المَدَى

إنْ نَكُنِ اليَوْمَ افْتَرَقْنَا قِددَا فَمَوْعِدُ اللِّقــاءِ بَيْنَنا غَدا

والدَهْرُ لا يَبْقى لِحَيٍّ أَبَدا

يُلحظ الانتقال الحاصل بين ضمير المخاطَب في قوله: (لا تنسني) إلى ضمير الغيبة في :(يا منْ له) ،إذ بدأ مخاطبة غلامه بخطاب المواجه عندما أراد توجيهه بعدم نسيانه ؛ليكون ملتفتاً مصغياً إليه ،ثم تم قطع الخطاب والانتقال من المواجهة والحضور إلى الغيبة،فتحول الخطاب إلى مسار أخر تم فيه تغييب المخاطَب لأمرٍ قصد منه التركيز على وصف مكانة الغلام وفرط حبه له فخاطبه بخطاب الغيبة التي هي الأنسب في مقام الوصف ورسم صورة للشيء الموصوف(٧٨).

النتائـــــــــــــج:

١-إنّ كلّ خبرٍ يخلو من ضمير المتكلم في بنية الخطاب فإنّه يوجد في بنيته العميقة ،وهذا يدل على أنّ أثر الاشاريات في السياق التداولي غير مقتصر على العناصر الظاهرة على سطح الخطاب ،بل أنّ هناك عناصر خفية يكون لها الحضور الأقوى وهو ما يعطيها وظيفتها التداولية في الخطاب.

٢-تتحدد الذاتية التلفظية بعلاقتها بالضمير الشخصي فكلمّا كان الضمير الشخصي حاضراً في بنية الخطاب السطحية أمكننا الحديث عن خطاب ذاتي ،وكلمّا غابت الذات كان الحديث عن خطاب موضوعي.

٣-إنّ ممارسة التلفظ من المتكلم تجعل من الأنا دائم الحضور وهو لا يعول على ذكرها دائماً لأنّها موجودة حاضرة في كفاءة المرسَل إليه.

.

٤-قد يجد المتكلم أنّ استعمال الاشاريات الشخصية بقيمتها الحقيقية تكون قاصرة في بعض الأحيان عن إيصال قصده ؛لذا يلجأ إلى انتهاك هذه القيمة من خلال استعمال الضمائر بقيمة منزاحة بانعكاسها مؤشراً على وفق قصده ومراعاة لمواءمتها للمقام الذي تُنتج فيه وباختلاف المواقف الاجتماعية ،معولاً على تعاون المخاطَب وقرائن أخرى تجعل فهم اقصد التلويحي ممكناً .

٥-للاشاريات الشخصية -الضمائر خاصة- في خطاب المقامات إسهام كبير في توضيح العلاقة الاجتماعية بين طرفي التخاطب ،فقد مثلت خير تمثيل الاستراتيجية التضامنية في كثير من نماذج الخطاب،ولاسيما في مواطن النصح ،فضلاً على إسهامها في إظهار الأثر العاطفي وشحن الخطاب بشحنة عاطفية يعبر من خلالها المتكلم عن درجات الحميمية لمخاطبه وكسب ودّه،ناهيك عمّا فيها من تأشير الانتماء والاتفاق مع معينٍ.

الهوامش:

(١) ينظر:استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ،عبد الهادي بن ظافر الشهري ،دار الكتاب الجديد المتحدة ،ط١،٢٠٠٤م.٨٢،وتداولية الإشاريات في الخطاب النهضوي عند مالك بن نبي "مجالس دمشق"نموذجاً"بحث"/ليندة قياس،مجلة ابوليوس ،جوان ٢٠١٨م ،المجلد ٥،العدد ٨،٩.

(٢) ينظر: التفسير المأثور عن العترة الطاهرة في البرهان للبحراني دراسة في البعد التداولي)،"أطروحة دكتوراه"،واثق غالب هاشم ،كلية الآداب ،الجامعة المستنصرية ،١٤٤٠-٢٠١٩م ٢٣.

(٣) ينظر:استراتيجيات الخطاب ٨٢،والتفسير المأثور عن العترة الطاهرة في البرهان للبحراني دراسة في البعد التداولي، ٣٧٣.

(٤) ينظر:فعل القول من الذاتية في اللغة ك-اوريكيوني ،ترجمة:محمد نظيف ،أفريقيا الشرق ،٢٠٠٧م. ٦٦.

(٥) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها،د. تمام حسّان ،عالم الكتب ،ط٥، ٢٠٠٦م ، ١٠٨.

(٦) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،د.محمود احمد نحلة ،دار المعرفة الجامعية ،٢٠٠٢م ١٩.

(٧) ينظر: المشيرات المقامية في اللغة العربية نرجس باديس ،مركز النشر الجامعي ،٢٠٠٩م.، ٢٤٧.

(٨) ينظر: النظرية البراجمانية اللسانية (التداولية) دراسة المفاهيم والنشأة والمبادىء،د.محمود عكاشة ،مكتبة الآداب ،ط١، ٢٠١٣م، ٨٤.

(٩) ينظر: آفاق جديدة ٨٥،١٧،وبذلك تفترق الاشاريات عن الإحالة في أنّ الأخيرة تُعنى بالسياقين اللغوي والمقامي ،أمّا الاشاريات فإنّها تعول على السياق المقامي كثيراً،ينظر:نسيج النص ،بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً،الأزهر الزنّاد،المركز الثقافي العربي ،ط١، ١٩٩٣،١١٦،والتفسير المأثور عن العترة الطاهرة في البرهان للبحراني دراسة في البعد التداولي ٢٤.

(١٠) ينظر:فعل القول في الذاتية في اللغة ٨٦ ،و التداولية أصولها واتجاهاتها جواد ختام ،دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع،ط١، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م ٧٩، والنظريات اللسانية الكبرى ماري آن بافو ،جورج إلياس رفاتي ،ترجمة: محمد الراضي ،المنظمة العربية للترجمة ،ط١،بيروت ،٢٠١٢م، ٢٩٢-٢٩٣.

(١١) ينظر:الاتجاهات السيموطيقية التيارات والمدارس السيموطيقية في الثقافة الغربية ،د.جميل حمداوي ،شبكة الألوكة، ١٨١

(١٢) ينظر: التداوليات علم استعمال اللغة تنسيق وتقديم:حافظ إسماعيل علوي ،عالم الكتب الحديث،إربد-الأردن ،ط٢، ٢٠١٤م، ٤٤٩، والتداولية أصولها واتجاهاتها ٧٦-٧٧.

(١٣) ينظر: النظرية الشعرية (بناء لغة الشعر، اللغة العليا)، جون كوين، ترجمة وتقديم وتعليق: د. احمد درويش،، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع،ط٤، القاهرة ٢٠٠٠م، ١٧٨.

(١٤) ينظر:فعل القول من الذاتية في اللغة ١٦٧..

(١٥) ينظر: نفسه والصفحة نفسها.

(١٦) ينظر: شرح المفصل موفق الدين علي بن يعيش (ت٦٤٣هـ)،إدارة الطباعة المنيرية ٢٩٢/٢.

(١٧) ينظر: مفتاح العلوم السكاكي (ت٦٢٦هـ)،ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه:نعيم زرزور،دار الكتب العلمية ،ط٢، بيروت -لبنان،١٤٠٧، ١٩٨٧م.١٦، والتداولية أصولها واتجاهاتها ٧٨، والمصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب ١٢٢.

(١٨) ينظر: شرح الرضي على الكافية رضي الدين بن محمد بن الحسن الاستراباذي (ت٦٨٦هـ)،تحقيق:يوسف حسن عمر،منشورات جامعة قار يونس،بنغازي،ط١٩٩٦،٢م، ٤٠١/٢، وشرح المفصل ٢٩٢/٢.

(١٩) المفاخرات والمناظرات عُني بها :الدكتور محمد حسّان الطّيان،دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت -لبنان ،ط١،١٤٢١هـ،٢٠٠٠م، ٣٢.

(٢٠) ينظر: معاني النحو د.فاضل صالح السامرائي،دار إحياء التراث العربي ،ط١،١٤٣٨ه،،٢٠٠٧م ٣٥٨،٥٠/١.

(٢١) ينظر: الحجاج في كتاب المثل السائر لأبن الأثير "رسالة ماجستير"،نعيمة يعمرانن،كلية الآداب واللغات ،جامعة مولود معمري،تيزي وزو،الجزائر،٢٠١٢م، ٨١ .

(٢٢) مجمع البحرين الشيخ ناصيف اليازجي،دار صادر،بيروت،(د.ط)،(د.ت).،المقامة البدوية ١٣.
(٢٣)ينظر: الملفوظية/ جان سيرفوني، تر: قاسم المقداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب ١٩٩٨، ص٢٨ .
(٢٤) مجمع البحرين، المقامة التهامية ٢٣٧.
(٢٥) ينظر:استراتيجيات الخطاب ١٩٢.
(٢٦)ينظر :استراتيجيات الخطاب ١٩٢ .
(٢٧)ينظر : الاتجاهات السيموطيقية ١٧٠-١٧١. .
(٢٨) ينظر: استراتيجيات الخطاب ٨١-٨٣.
(٢٩) ينظر: فعل القول من الذاتية في اللغة، ٦٠، واستراتيجيات الخطاب ٢٩٣.
(٣٠) ينظر: فعل القول ٦١، واستراتيجيات الخطاب ٢٩٣-٢٩٤.
(٣١) ينظر: التداولية جورج يول ترجمة:قصي العتابي ،الدار العربية للعلوم ،ناشرون ،ط١٤٣١،١هـ-٢٠١٠م. ٣١.
(٣٢) مجمع البحرين،المقامة العُمانية ٢٨٨.،وشَرَع:سواء أي واحد ،ينظر:لسان العرب جمال الدين بن منظور الأنصاري الأفريقي(ت٧١١هـ)،دار صادر،بيروت،ط٣،١٤١٤ هـ ١٧٧/٨(شرع)،وهامش مجمع البحرين ٢٨٨.
(٣٣) ينظر: استراتيجيات الخطاب ٢٩٣.
(٣٤) مجمع البحرين ٢٨٨، أي أعطوه قليلاً وقولهم: رضخوا له باحتلاب شَطْر من قولهم في المثل: حلباً لك شطره ،الذي يضرب في الحثّ على الطلب والمساواة في المطلوب،يعني أنّهم أكرموه بشَطْر من الإكرام الذي كان يستحقه، ينظر: مجمع الأمثال أبو الفضل احمد بن محمد الميداني(ت٥١٨هـ)،تحقيق:محمد محيي الدين عبد الحميد ،دار المعرفة ،بيروت-لبنان، ١٩٥/١ ،وهامش مجمع البحرين ٢٨٨.
(٣٥) ينظر:سيموطيقيا التلفظ بين النظرية والتطبيق،د.جميل حمداوي مكتبة المثقف،ط١، ٢٠١٥م. ٥٨.
(٣٦) الآثار الفكرية تشتمل على ما تيسر العثور عليه من نظم ونثر المرحوم عبد الله فكري باشا،جمعها نجله :أمين فكري باشا ،المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق ،مصر،ط١،١٣٦٥هـ،١٨٩٧م ٣٠٥.
(٣٧) ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي،د.طه عبد الرحمن د.طه عبد الرحمن ،المركز الثقافي العربي ،ط١ ،١٩٩٨م،٢٢٤.
(٣٨) مجمع البحرين، المقامة السخرية ٢٥٨.
(٣٩) ينظر: استراتيجيات الخطاب ٢٨٧.
(٤٠) مجمع البحرين، المقامة العبسية ١٩١،تدور أحداث المقامة حول احتيال الخزامي وغلامه وابنته على قومٍ من بني عبس ؛لأجل أن يرضخوا لهم بالمال ،فيقوم القوم بالتصدق على الشيخ وإجازة الفتى دون الفتاة.
(٤١) ينظر: التداولية جورج يول ٣٠.
(٤٢) ينظر: نفسه ٢٨٦-٢٨٧.
(٤٣) ينظر: فعل القول في الذاتية في اللغة ٩٢،وآفاق جديدة ٢٣-٢٤.
(٤٤) ينظر: الاتجاهات السيموطيقية ١٦٨-١٦٩.

(٤٥) مقامات الحنفي وابن ناقبا وغيرهما ،مطبعة احمد كامل ،استانبول ،١٣٣٠هـ ٣٠٤.

(٤٦) ينظر: أصول تحليل الخطاب في النظرية العربية ،تأسيس نحو النص ،محمد الشاوش ،طبعة مشتركة :كلية الآداب بمنوبة ،والمؤسسة العربية للنشر والتوزيع ،ط١ ،تونس ،٢٠٠١م، ١٠٩٣/٢.

(٤٧) ينظر:اطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين ،إشراف وتنسيق:عزّ الدين مجدوب ،المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون،بيت الحكمة ،٢٠١٢، ٥٥٤/٢،وكتاب البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي دراسة في ضوء تداوليات الخطاب"أطروحة دكتوراه"،عذراء سعيد عبد ،كلية الآداب ،جامعة القادسية ،١٤٤١هـ،٢٠٢٠ ،٦٩.

(٤٨) ينظر:سيموطيقيا التلفظ ٦١.

(٤٩) ينظر: نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً ،الأزهر الزنّاد ،المركز الثقافي العربي ،ط١، ١٩٩٣م ١١٧.

(٥٠) ينظر: شرح المفصل ٢٩٢/٢.

(٥١) مجمع البحرين، المقامة اللاذقية ٢٦٩.

(٥٢) ينظر: مجمع البحرين ٢٦٩-٢٧٠.

(٥٣) ينظر: سيموطيقيا التلفظ ٦٠

(٥٤) الآثار الفكرية، مقامة في حسن الوفاء ٣٤٠.

(٥٥) ينظر:استراتيجيات الخطاب ٢٩٠.

(٥٦)المقامة الفكرية السنية في المملكة الباطنية ،عبد الله فكري باشا ،مطبعة المدارس الملكية ،ط٢ ،١٢٩٠هـ. ٢٩.

(٥٧) ينظر:سيموطيقيا التلفظ ٦١.

(٥٨) مجمع البحرين، المقامة الرملية٩٧ .

(٥٩) ينظر: معاني النحو ٤٤/١.

(٦٠) ينظر: استراتيجيات الخطاب ٢٨٨-٢٨٩.

(٦١) مجمع البحرين، المقامة العبسية ١٩٠.

(٦٢)ينظر:الاتجاهات السيموطيقية ١٧٠. .

(٦٣)ينظر:الاتجاهات السيموطيقية ١٧١. .

(٦٤) مجمع البحرين،المقامة السوادية ٢٩٥.

(٦٥) ينظر:استراتيجيات الخطاب ٨٣.

(٦٦) ينظر: المشيرات المقامية في اللغة العربية ٢٩٥،والمشيرات المقامية في القرآن،د.منى الجابري ،دار الانتشار العربي ،ط١،بيروت–لبنان ،٢٠١٣م. ١٨٧.

(٦٧) ينظر: المشيرات المقامية في اللغة العربية ٣٠٢.

(٦٨) نفسه والصفحة نفسها.

(٦٩) ينظر: المشيرات المقامية في القرآن ١٩٠.

(٧٠) ينظر: مفتاح العلوم١٩٩.

(٧١) الآثار الفكرية ٣٠٥.

(٧٢) ينظر: المشيرات المقامية في القرآن ١٩٩.

(٧٣) مجمع البحرين، المقامة اللاذقية ٢٦٩.

(٧٤) ينظر: المشيرات المقامية في القرآن ٢٠٧.
(٧٥) ينظر: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز،يحيى بن حمزة العلوي (ت٧٤٩هـ)،المكتبة العصرية ،بيروت ط١٤٢٣،١هـ، ٢٧٠،ومعاني النحو ٥٨/١.
(٧٦) ينظر: ا لمرتجل في شرح الجمل، أبو محمد عبد الله بن احمد ابن الخشاب (ت٥٦٧هـ)،تحقيق ودراسة :علي حيدر،دمشق،١٣٩٢هـ-١٩٧٢م، ٢٨١.
(٧٧) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل،أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)،دار الكتاب العربي – بيروت،ط٣ ،١٤٠٧هـ ١٢٠/١.
(٧٨) مجمع البحرين، المقامة المصرية ١٧٨.
(٧٩) ينظر:المشيرات المقامية في القرآن ٢٠٧.
(٨٠) مجمع البحرين، المقامة العبسية ١٩٠.

مصادر البحث

– الآثار الفكرية ،تشتمل على ما تيسر العثور عليه من نظم ونثر المرحوم عبد الله فكري باشا،جمعها نجله :أمين فكري باشا ،المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق ،مصر،ط١٣٦٥،١هـ،١٨٩٧م.

–آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،د.محمود احمد نحلة ،دار المعرفة الجامعية ،٢٠٠٢م.

–الاتجاهات السيموطيقية ،التيارات والمدارس السيموطيقية في الثقافة الغربية ،د.جميل حمداوي ،شبكة الألوكة

–استراتيجيات الخطاب ،مقاربة لغوية تداولية ،عبد الهادي بن ظافر الشهري ،دار الكتاب الجديد المتحدة ،ط١،٢٠٠٤م.

–أصول تحليل الخطاب في النظرية العربية ،تأسيس نحو النص ،محمد الشاوش ،طبعة مشتركة :كلية الآداب بمنوبة ،والمؤسسة العربية للنشر والتوزيع ،ط١ ،تونس ،٢٠٠١م.

–التداولية ،جورج يول،ترجمة:قصي العتابي ،الدار العربية للعلوم ،ناشرون ،ط١،١٤٣١هـ–٢٠١٠م.

–التداولية أصولها واتجاهاتها،جواد ختام ،دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع،ط١، ١٤٣٧هـ–٢٠١٦م.

–التداوليات علم استعمال اللغة ،تنسيق وتقديم:حافظ إسماعيل علوي ،عالم الكتب الحديث،إربد–الأردن ،ط٢، ٢٠١٤م

–سيموطيقيا التلفظ بين النظرية والتطبيق،د.جميل حمداوي مكتبة المثقف،ط١، ٢٠١٥م.

–شرح الرضي على الكافية ،رضي الدين بن محمد بن الحسن الاستراباذي (ت٦٨٦هـ)،تحقيق:يوسف حسن عمر،منشورات جامعة قار يونس،بنغازي،ط١٩٩٦،٢م.

–شرح المفصل ،موفق الدين علي بن يعيش (ت٦٤٣هـ)،إدارة الطباعة المنيرية.

-الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز،يحيى بن حمزة العلوي(ت٧٤٩هـ)،المكتبة العصرية،بيروت ط١،١٤٢٣هـ.

-فعل القول من الذاتية في اللغة ،ك-اوريكيوني ،ترجمة:محمد نظيف ،أفريقيا الشرق ،٢٠٠٧م.

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل،أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)،دار الكتاب العربي – بيروت،ط٣ ،١٤٠٧هـ.

-لسان العرب ،جمال الدين بن منظور الأنصاري الأفريقي(ت٧١١هـ)،دار صادر،بيروت،ط٣،١٤١٤ هـ .

-اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ،د.طه عبد الرحمن ،المركز الثقافي العربي ،ط١ ،١٩٩٨م.

-اللغة العربية معناها ومبناها،د. تمام حسّان ،عالم الكتب ،ط٥، ٢٠٠٦م.

-مجمع الأمثال،أبو الفضل احمد بن محمد الميداني(ت٥١٨هـ)،تحقيق:محمد محيي الدين عبد الحميد ،دار المعرفة ،بيروت-لبنان.

- مجمع البحرين/الشيخ ناصيف اليازجي،دار صادر،بيروت،(د.ط)،(د.ت).

-المرتجل في شرح الجمل ،أبو محمد عبد الله بن احمد ابن الخشاب (ت٥٦٧هـ)،تحقيق ودراسة :علي حيدر،دمشق،١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.

-المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب ،دراسة معجمية ،د.نعمان بوقرة،عالم الكتب الحديث ،جدار للكتاب العالمي ،ط١، ١٤٢٩ه_٢٠٠٩م.

-المشيرات المقامية في القرآن ،د.منى الجابري ،دار الانتشار العربي ،ط١،بيروت-لبنان ،٢٠١٣م.

-المشيرات المقامية في اللغة العربية ،نرجس باديس ،مركز النشر الجامعي ،٢٠٠٩م.

- معاني النحو، د.فاضل صالح السامرائي،دار إحياء التراث العربي ،ط١،١٤٣٨ه،،٢٠٠٧م.

- المفاخرات والمناظرات،عني بها :الدكتور محمد حسّان الطّيان،دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت –لبنان ،ط١،١٤٢١١هـ،٢٠٠٠م.

-مفتاح العلوم،السكاكي (ت٦٢٦هـ)،ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه:نعيم زرزور،دار الكتب العلمية ،ط٢، بيروت –لبنان،١٤٠٧، ١٩٨٧م.

-المقامة الفكرية السنية في المملكة الباطنية ،عبد الله فكري باشا ،مطبعة المدارس الملكية ،ط٢ ،١٢٩٠هـ.

-مقامات الحنفي وابن ناقيا وغيرهما ،مطبعة احمد كامل ،استانبول ،١٣٣٠هـ.

-الملفوظية ،جان سيرفوني ،ترجمة:قاسم المقداد ،منشورات اتحاد الكتّاب العرب،١٩٩٨م.

-نسيج النص،بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً ،الأزهر الزنّاد ،المركز الثقافي العربي ،ط١، ١٩٩٣م.

-النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية)دراسة المفاهيم والنشأة والمبادىء،د.محمود عكاشة ،مكتبة الآداب ،ط١، ٢٠١٣م.

-النظرية الشعرية (بناء لغة الشعر،اللغة العليا)،جون كوين ،ترجمةوتقديم:د.احمد درويش ،دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ،ط٤،القاهرة ،٢٠٠٠م.

-النظريات اللسانية الكبرى ،ماري آن بافو ،جورج إلياس رفاتي ،ترجمة: محمد الراضي ،المنظمة العربية للترجمة ،ط١،بيروت ،٢٠١٢م.

الرسائل والبحوث الجامعية:

-تداولية الاشاريات في الخطاب النهضوي عند مالك بن نبي"مجالس دمشق نموذجاً"،"بحث"،ليندة قياس،مجلة أبوليوس ، المجلد (١٥) ،العدد (٤٨) ،جوان،٢٠١٨.

-التفسير المأثور عن العترة الطاهرة في البرهان للبحراني (ت١١٠٧هـ)،"أطروحة دكتوراه"،واثق غالب هاشم ،كلية الآداب ،الجامعة المستنصرية ،١٤٤٠-٢٠١٩م.

-الحجاج في كتاب المثل السائر لأبن الأثير "رسالة ماجستير"،نعيمة يعمرانن،كلية الآداب واللغات ،جامعة مولود معمري،تيزي وزو،الجزائر،٢٠١م.

-كتاب البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي ،دراسة في ضوء تداوليات الخطاب "أطروحة دكتوراه"،عذراء سعيد عبد ،كلية الآداب ،جامعة القادسية ،١٤٤١هـ،٢٠٢٠م.